# المفاضلة بين صورتي الفتى والفتاة في المنهج التعلمي

آمال بابكر تلب (السودان)

**في كتابها " تعليم الفتاة السودانية بين التمييز والتميز"، أكدت الدكتورة سعاد إبراهيم عيسى أن التعليم هو الوسيلة الرئيسية لتأهيل الطاقات البشرية وإعدادها وتمكينها من الإسهام الفاعل في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كما أنه أصبح من المجالات التى تجد اهتماماً متزايدا من جميع الدول المتقدمة والنامية، بل تغيرت النظرة التقليدية للتعليم باعتباره خدمة يتم تقديمها للمواطنين، إلى عنصر هام في إحداث التنمية. ولكن هل تقدم هذه الخدمة بالتساوي للجنسين في كل الأقطار ؟ وهل فرص تعليم الذكور هي نفس فرص تعليم الإناث ؟ وهل تتحمل الأسرة عبء تعليم بناتها كأبنائها ؟**

لقد جاء تقرير مجموعة العمل من المنظمات غير الحكومية عن التعليم و الذى أصدرته نهاية المؤتمر الذى عقد بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية نيسان-أبريل 1992، مجيباً على تلك التساؤلات ، حيث أشار بوضوح ، أنه من بين مليار نسمة لا يعرفون القراءة و الكتابة، تمثل النساء ثلثي ذلك العدد، وأن غالبيتهن من سكان جنوب آسيا و إفريقيا جنوب الصحراء و الشرق الأوسط. وأنه من بين 130 مليوناً من الأطفال لا يجدون فرصاً للالتحاق بالتعليم في مراحله الأولى، تمثل نسبة الإناث ثلثي ذلك العدد. وأشارت د. سعاد إبراهيم عيسى، في إطار المفاضلة بين الجنسين في حق التعليم، أنه هناك مفاضلة أخرى يقوم بها المواطنون أنفسهم داخل أسرهم تتعلق بتحديد من الذي يحق له الاستفادة من الفرص المتاحة، الذكور أم الإناث ؟ وأوضحت الباحثة أن غالبية الدول النامية تتفق في نظرتها إلى تعليم الإناث و عدم أهميته لهن عندما تصبح الفرص المتاحة لا تفى حاجة الجنسين معاً، ليصبح الخيار هنا دون تردد هو تفضيل الذكور، وخاصة في الريف، أين تتعمق وبصورة جلية، سياسة التمييز بين الفتى والفتاة، الشيء الذي يتعارض مع تحقيق الهدف الأساسي في المساواة بين الجنسين ليس في مجال التعليم فقط، بل في كل المجالات كماً وكيفاً.

## منهج تعليمي متحيز

تكتسب محتويات المناهج التعليمية أهمية لما تلعبه من دور كبير في عملية التطوير الفكري وفتح للقدرات العقلية والذهنية وغرس للمفاهيم و الأفكار التى تساهم في تشكيل وبناء الشخصية، خاصة مناهج نهاية مرحلة الأساس بالنسبة للمدارس السودانية حيث بداية مرحلة المراهقة، تلك المرحلة المصحوبة بالتطور العقلي والجسماني، والبحث عن تكوين الذات والطموح ورسم المسارات المستقبلية المرتبطة بلعب الأدوار في المجتمع . وعلى الرغم من الملامح العامة لصورة التعليم في السودان حيث نسبة تعليم البنين والبنات تكاد تكون متقاربة، والفجوة بين تعليم الذكور و الإناث تقلصت إلى حد كبير، إلا أن بعض المناهج التعليمية تحمل تمييزاً واضحاً ضد الإناث مما يجعل الفتاة المراهقة التى تدرس بمرحلة الأساس، تصطدم بالصورة التى ترسمها لها وزارة التربية والتعليم في المنهج الدراسي، خاصة في المطالعة المدرسية، حيث تجعلها دائماً - أي الفتاة - في صورة ربة المنزل المحصور دورها في الاهتمام بالأعمال المنزلية ورعاية الأطفال. فقد اقتبست الباحثة "زينب عباس" في مقالها الذي نشرته في مجلة الدراسات السودانية بعنوان "صورة الفتاة في المناهج التعليمية"، نصا من أحد دروس المطالعة جاء فيه : "الفتيات الناجحات هن اللائي يتربين على حب العمل وهن اللائي يتدربن على الأعمال المنزلية والأشغال اليدوية والتمريض و تربية الأطفال ورفع الأسقام عنهم ..". ويعتبر هذا المقتبس من أحد نصوص المطالعة المدرسية، نموذجا لتكريس الصورة النمطية والتقليدية للفتاة، وهو حتماً له تأثيره على عقلية مراهقات، فهن في مرحلة تكوين الذات والبحث عن الصورة الحقيقية للمرأة باعتبارها عنصراً فاعلاً في المجتمع وأساسياً في المعادلة . وجاء في الدراسة المشار إليها أعلاه نص آخر مقتبس من درس للمطالعة أيضا : "حينما يأتي الوالد إلى البيت، تهرع البنت المتفانية في تدبير المنزل، إلى استقباله، وتكون رهن إشارته، ولا تنصرف من لدنه حتى يصرفها هو، وكذلك تفعل مع أخيها الأكبر .. بالإضافة لعطفها على أختها الصغرى .. وكل ذلك لا ينسيها واجباتها المدرسية ".

**كان صحافيو الشبكة العربية للنوع الاجتماعي والتنمية "أنجد" أو بالأحرى صحافياتها في الموعد، للمشاركة في هذا العدد الخاص بالمراهقة العربية، وكأنهن اتفقن على زاوية رؤية واحدة. إذ تطرقت كل من فاطمة حوحو من لبنان وسلمى كامل من سوريا إلى دور الجمعيات الأهلية في استقطاب شريحة المراهقين. في حين تعرضت ناهد باشطح من السعودية وصفاء لقمان من اليمن إلى المراهقة الجانحة. وتطرقت ضحوك البنوان من الكويت وهويدا سليم من السودان إلى موضوع العنف في حياة الفتاة المراهقة... وتفردت آمال بابكر من السودان بدراسة صورة الفتاة المراهقة في المناهج التعليمية.. وبقدر ما تمثل أقلام "أنجد" مؤشرا على ديناميكية شبكة أردناها كذلك، بقدر ما وضعتنا مقالات الصحافيات أمام تحديات أكبر تواجه المهتمين بدراسة المراهقين، وخاصة المراهقات. فتعود لتؤكد على أن تقرير تنمية المرأة العربية الثاني الذي اختار له مركز "كوثر" موضوع "الفتاة العربية المراهقة" لا يعد سوى عملا عربيا تأسيسيا لدراسات أعمق في حجم التحديات التي تكتشفونها من خلال مقالات إعلاميات "شبكة أنجد".**

وتسير كثير من المناهج التعليمية خاصة دروس المطالعة العربية على هذا النهج الذى يصادر طموح الفتاة ويحصرها في أدوارها النمطية و السلبية، مما يرسخ في ذهنها عجزها عن القيام بأي أدوار أخرى في المستقبل، على العكس تماما مما يحدث مع صورة الفتى في المنهج الدراسي. فحينما يتمّ الحديث عن الاختراعات العلمية وأهميتها، تتمّ مخاطبة الفتى بالقول " أيها التلميذ المجد، حينما تتعلم تستطيع أن تسوق الجرارات وتحفر الترع وتشق القنوات، وتقود الطائرات، وتبني الخزانات وتحوّل أرض السودان إلى جنة فيحاء - أنت جندي المستقبل وأنت أمل بلادك ".

ولننظر إلى هذه القصيدة الموجهة للبنين دون البنات، في حين أنه من المفترض أن توجه الرسالة التعليمية للإثنين معاً :

نحن البنون نحن البنون
الناهضون الفائــزون
و غداً نرى ما قد يـكون
منا يكون العاملــون
مـنا يكـون الزارعــون
منا يكون الحاكمون
العاملون الراحمـــون
منا يكون الحارسون
الساهرون الظــافرون
و عن البلاد يدافعون

فمخاطبة التلميذ دون التلميذة في هذا النص من درس المطالعة و في القصيدة أيضاً، هو نوع من التمييز . بالإضافة إلى أن النص يحدد بوضوح دور الذكور ويرسم لهم مساراتهم المستقبلة و يجعل لهم الخيار واسعاً في مختلف المجالات " قائد طائرة ، سائق جرار ، جندى الخ" في حين حدّد المنهج الدراسي للفتاة دورها في المسؤولية المنزلية، لتبقى هنا للمفاهيم وللأنماط المذكورة أثر واضح في تشكيل الشخصية وبنائها.

## الأبطال : رجال دون النساء

احتشد منهج درس التاريخ بشخصيات رجالية ذات أدوار قيادية متعددة على مستوى الوطن العربى والإفريقى وأوربا، وخلا تماماً من أي سيرة لامرأة ذات دور قيادي في وطننا العربي وفي إفريقيا وحتى على المستوى الوطني، في حين يزخر تاريخنا بأدوار لافتة ابتداء من خولة بنت الازور وشجرة الدر وحتشبسوت وزنوبيا وكيلوباترا وجميلة بوحريد وهدى شعراوى وغيرهن من القادرات اللائي توجهن التاريخ بإكليل من ذهب.

وعلى المستوى الوطني هناك العديد من النساء اللائي شاركن في عملية تغيير المجتمع ومازالت الأجيال المتعاقبة السودانية من النساء تسير على نهجهن و سيرتهن، فالواقع يخالف تماماً تلك الصورة المتميزة في المناهج التعليمية للذكور دون الإناث. فالماضي يحمل ذكرى أدوار متميزة لبعض النساء، والحاضر لا يحتاج لدرس. والمناهج المدرسية عندما تعكس صور غير حقيقية عن واقع المرأة، لا تشجع الفتيات إلى التطلع إلى أعلى، ولا إلى الطموح إلى المشاركة المتساوية مع زميلها الفتى الذى يطالع نفس الدرس ، و ربما يجاورها في المقعد الدراسي أيضاً.

## و تحيز الصورة أيضاً

تصاحب هذه الدروس صور إيضاحية، إلا أنها للأسف لم تخرج من حدود التحيز إن جاز التعبير، فجاءت أغلب صور الفتاة وهي داخل المنزل تؤدى أعمالاً منزلية، فتارة نجدها تغسل الملابس أو الأواني، وتارة نجدها تحمل طفلاً صغيراً كنوع من التذكير بدورها الإنجابي. ولا نجد صورة لفتاة في معمل أو مصنع أو بجوار الآلات الزراعية أو الهندسية إلا نادراً جدا، وتختفي صورة الفتاة عن موضوع الرياضة تماما. ولهذه الصور دون شك أثرها المباشر في التمييز بين الفتى والفتاة والإحساس بعدم المساواة وبعدم المشاركة.

إظهار الفتاة في المنهج التعليمى بصورة بعيدة عن دورها الحقيقي في الحياة الاجتماعية، يتعارض تماماً مع الدور الذى تلعبه الآن ومع المكانة التى تستحق، كما أنه يكرس التمييز بين الفتى والفتاة ويروّج لمفاهيم خاطئة تمجد الرجل وتهمش المرأة .. فإلى متى تظل المرأة أسيرة هذه القيود ؟ و إلى متى يحدد دور المرأة في كثير من أجزاء وطننا العربي وفقاً لهذه المفاهيم الخاطئة ؟ وإلى متى تظل الثقافة الذكورية هي الأعلى ؟ و إلى متى يظل انعدام فرص المساواة بين الذكور والإناث... ونحن في القرن الحادي والعشرين؟

من رسوم المراهقين المشاركين في مسابقة "كوثر"